ابن رشد اليوم

العدد الثانى

الأصولية والعلمانية فى الشرق الأوسط

المحرران :

مراد وهبه

منى أبو سنه

"لا يُقطع بكفر
مَنْ خَرق الإجماعَ فى التأويل"
ابن رشد

"دن جريئاً فى إعمال عقلك"
كانط

الناشـــر

دار قبـــاء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

أحمد غريب

الكتـــــــاب : ابن رشد اليوم : العدد الثانى

المحرران :

مراد وهبه

منى أبو سنه

تاريخ النشر : ٢٠٠٠م

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة

الطبعة الثانية

الناشـــــــر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

عبده غريب

شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون

الدور الأول - شقة ٦

ف : ٢٤٧٤٠٣٨، ت: ٢٤٦٢٥٦٢

التـــــوزيـــع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)

ت : ٥٩١٧٥٣٢ ص. ب : ١٢٢ (الفجالة)

المطابع : مدينة العاشر من رمضان

المنطقة الصناعية (C1)

ت: ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

رقـم الإيـــداع : ٩٩/٥٣٥٦

الترقيـم الدولى : I S B N

977-303-160-8

ابن رشد اليوم

المحرران

مراد وهبه

مؤسس ورئيس شرف الجمعية الفلسفية الأفروأسيوية ورئيس الجمعية الدولية لابن رشد والتنوير

منى أبو سنة

سكرتير عام الجمعية الفلسفية الأفروأسيوية وسكرتير الجمعية الدولية لابن رشد والتنوير

بثينة أبو سيف

المحرر التنفيذى للطبعة العربية

الناشر والموزع

دار قباء ٥٨ شارع الحجاز – القاهرة

فاكس : ٢٤٧٠٣٨

موبيل : ٠١٢-٢١٣٨٦٤٢

ابن رشد اليوم : كتاب غير دورى تصدره الجمعية الدولية لابن رشد والتنوير المتفرعة من الجمعية الفلسفية الأفرو أسيوية.

صندوق بريد ٥١٠١ – هليوبولس غرب – القاهرة ١١٧١

فهرس

المحرر
مراد وهبه ٧
تصدير
منى أبو سنه ١٠
– ندوة الأصولية والعلمانية فى الشرق الأوسط. ١٢
– الأصولية والعلمانية فى العالم الاسلامى
عبدالرازق قسوم ١٤
– جذور الأصولية الإسلامية فى مصر
محمد الحق اليجاره ٢٢
– الفلسفة ضد الأصولية الاسلامية
عادل ضاهر ٢٧
– بعض ملاحظات على الأصولية الاسلامية
حميد الجار ٣٣
– ابن رشد والتنوير : الطريق إلى السلام فى الشرق الأوسط
منى أبو سنة ٣٥
– المطلق الأصولى والعلمانية فى الشرق الأوسط
مراد وهبه ٤٠
– مجلة ابن رشد اليوم فى الصحافة
رفعت السعيد ٤٥
– أنباء فلسفية ٥٥
فدريكو مايور ٥٦
– رسالة من مدير عام اليونسكو ٥٩

كلمة المحرر

فى عام ١٩٧٦ دعتنى جامعة هارفارد لاجراء حوار مع أساتذة الفلسفة والسياسة والدين. وكان من بين هؤلاء هربرت كلمان أستاذ الاجتماع الأخلاقى. وفى الحوار وجه إلى هذا السؤال : ما هى رؤيتك لانهاء الصراع العربى الاسرائيلى؟ وكان جوابى: العلمانية هى الحل. وكان تعليقه فى دهشة : هذه أول مرة أسمع فيها حلاً كهذا.

وفى عام ١٩٧٩ كان الانتصار الحاسم للأصوليات فى جميع الأديان. وكان هذا الانتصار مردوداً إلى الأحداث المأساوية الآتية :

- الثورة الأصولية الايرانية بقيادة آية الله خومينى
- تأسيس الأصولية المسيحية تحت اسم "الغالبية الأخلاقية" بقيادة القس جيرى فولول وكذلك دائرة الحوار الدينية بقيادة إد مكأتير[1].
- صدر قرار من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية جيمى كارتر بمؤازة الأصوليين الاسلاميين فى أفغانستان فى مواجهة الاتحاد السوفيتى.
- معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية معتمدة من رئيس الوزراء مناحم بيجين والرئيس المصرى أنور السادات. كان الأول أصولياً يهوديا والثانى مدعماً للأصوليين الاسلاميين من أجل التخلص من

---

(1) R. Viguerie, The New RighT Introduction by J. Falwell, The Viguerie Company, U. S. A. 1981.

اليساريين فى مصر. وكل منهما قبل جيرى فولول لأن يكون المتحدث غير الرسمى لدى قطاع عريض، من الشعب الأمريكى وكان هو على علاقة حميمة مع الزعيميين، وكان يقول دائما "إن الشرق الأوسط هام للغاية بالنسبة إلى الغالبية الأخلاقية".

مداعبة بين الرئيس السادات والدكتور فولول أثناء حديث جاء عن الوضع فى الشرق الأوسط

فى حديث مع بيجن يعرض فولول رؤيته عن دولة اسرائيل

To: www.al-mostafa.com

وفى عام ١٩٨٨ ثمة حادثتان هامتان :

الأولى فقد حدثت فى عام ١٩٨٦ عندما تقدمت إلى اللجنة التنفيذية للاتحاد الدولى للجمعيات الفلسفية (وكنت وقتها رئيسا للجمعية الفلسفية الافرواسيوية) باقتراح لعقد ندوة عن "الأصولية والعلمانية فى الشرق الأوسط" عند انعقاد المؤتمر العالمى السابع عشر للاتحاد الدولى للجمعيات الفلسفية فى برايتون بانجلترا.

أما الثانية فهى "المشروع الأصولى" الذى أقرته الأكاديمية الأمريكية للآداب والعلوم للبحث عن الجذور التاريخية والايديولوجية للحركات الأصولية فى جميع الأديان، وعن خصائص هذه الحركات. وصدرت الأبحاث فى خمسة مجلدات.

مراد وهبه

تصدير

هذا هو العدد الثانى من الكتاب غير الدورى "ابن رشد اليوم" الذى تصدره الجمعية الدولية لابن رشد والتنوير. والعدد مخصص لقضية محددة هى "الأصولية والعلمانية فى الشرق الأوسط". وهى القضية التى طرحناها فى الندوة المخصصة لها أثناء انعقاد المؤتمر العالمى الفلسفى الثامن عشر فى برايتون بالمملكة المتحدة.

وقضية الأصولية والعلمانية هى قضية كوكبية تهتم بها جميع الثقافات وجميع المجتمعات فى نهاية القرن العشرين. ومع أنها كذلك إلا أنها ذات أهمية خاصة بالنسبة إلى الشرق الأوسط من حيث أنها هى محور الصراع العربى الاسرائيلى. ومن ثم فانها تشكل خطراً على السلام. والأبحاث المنشورة، فى هذا العدد، هى نفس الأبحاث التى قدمت إلى الندوة المذكورة آنفاً. وهى أبحاث فلسفية تهدف إلى التعمق فى الذهنية العربية وثقافتها للكشف عن جذور الأصولية الاسلامية. والباحثون يمثلون تيارات متباينة للمثقفين العرب والمسلمين. وتمثل آراؤهم وتأويلاتهم لظاهرة الأصولية والعلمانية فى الشرق الأوسط تنوعاً يفضى بدوره إلى القاء الضوء على هذه الظاهرة التى تتجاوز الأسباب السياسية والاقتصادية التى عادة ما يقدمها علماء الاجتماع لتفسير هذه الظاهرة الكوكبية.

وتصاعد الارهاب الكوكبى الذى يميز الجماعات الدينية الأصولية يشهد على ضرورة الحاجة إلى حركة علمانية مضادة للأصولية. وما يحدث يوميا من أحداث رهابية، فى الشرق الأوسط، يذكرنا على الدوام بضرورة هذه الحاجة، بل هو دليل محدد على أن ارهاب الأصوليين لا تنفع معه المواجهة البوليسية أو العسكرية، إذ الأجدى المواجهة بالعقل، أى بالفلسفة.

منى أبوسنه

نـــدوة

الأصولية والعلمانية
فى
الشرق الأوسط

بتنظيم من
الجمعية الفلسفية الأفروآسيوية
٢٦ أغسطس ١٩٩٨ (بريتون – بريطانيا)

فى
المؤتمر الثامن عشر للاتحاد الدولى
للجمعيات الفلسفية

بدعوة من جامعة هارفارد لإجراء حوار مع أساتذة الفلسفة والدين والاقتصاد رحلت إليها فى ابريل ١٩٧٦. وكان من بين هؤلاء هربرت كيلمان أستاذ علم الاجتماع الأخلاقى. ودار الحوار معه عدة قضايا وفى مقدمتها قضية الصراع العربى الاسرائيلى. وسألنى كيلمان عن تصورى الفلسفى لحل هذا الصراع. وكان جوابى أن "العلمانية هى الحل". واندهش كيلمان قائلاً : هذه أول مرة أسمع فيها حلاً كهذا. وفى ديسمبر ١٩٧٧ نشرت "جريدة الأهرام" خلاصة لمحاضرة ألقاها هربرت كيلمان فى الجامعة الامريكية بالقاهرة بعنوان "الاثار النفسية لمبادرة السادات على المجتمع الإسرائيلى. وفى مفتتح المحاضرة قال كيلمان "لقد أتيحت لى الفرصة كى أشهد عن قرب كيف حدث الوضع فى الشرق الأوسط. فقد عاصرت فى اسرائيل فترة ما قبل إعلان الرئيس السادات رغبته فى زيارة اسرائيل، ثم عاصرت الزيارة ومكثت فترة بعدها".

وفى عام ١٩٧٩ كان انتصار الأصوليات فى جميع الأديان ساحقا. فى هذا الإطار عقدت ندوة عن "الأصولية والعلمانية فى الشرق الأوسط المعاصر" فى بريتون بانجلترا بمناسبة انعقاد المؤتمر الفلسفى العالمى الثامن عشر فى هذه المدينة فى الأسبوع الأخير من أغسطس ١٩٩٨. دعوت خمسة مفكرين : عبدالرازق قسوم (الجزائر)، محمد الحق اليجاره(الهند، عادل ضاهر (الأردن)، حميد الجار (ايران)، منى أبوسنة (مصر) بالاضافة إلىّ.

أبدأ ببحث (قسوم) وعنوانه "الأصولية والعلمانية فى العالم الإسلامى اليوم" : هذا نصه من غير حرفية.

أى تحليل موضوعى لهذين المفهومين (الأصولية والعلمانية) اللذين تدور عليهما اليوم معركة أيديولوجية حادة تستلزم بالضرورة دراسة أشمل وأعمق للواقع الاقتصادى والثقافى الخاص بالعالم العربى الاسلامى. ومن أجل أن يحقق مثل هذا التحليل غايته المنشودة يلزم، فى رأينا، تبنى منهجاً تاريخياً وتحليلياً ونقدياً.

ثمة معطيات عديدة، ومن بينها الأصولية والعلمانية، هى ترجمة للأزمة العقلية والأيديولوجية التى تسود العالم الاسلامى اليوم. وجدير بالتنويه أن هذه الأزمة تذكرنا بأزمات سابقة كانت علامات فى التاريخ السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى للمجتمع الاسلامى.

ونحن لانؤيد رأى بعض المفكرين المعاصرين الذى يدور على أن أزمة العالم الاسلامى هى أزمة فكر، وليست مجرد أزمة المجتمع الاسلامى. فنحن نرى أن العالم العربى الاسلامى يعانى مرضاً خاصاً به وهو أزمة أيدولوجية.

وأصحاب الخطاب الاسلامى المعاصر يطرحون كبديل عن الايديولوجيات النموذج الاسلامى المؤسس على الله. وتأسيساً على ذلك فإن الحركات الاسلامية، باستثناء بعضها، تتبنى شعار "الدولة الاسلامية" أو "الثورة الاسلامية أو "لا سلطان غير سلطان الله".

ونخلص من ذلك إلى أن الأصولية من حيث هى نظرية قد ولدت لسد الفراغ الايديولوجى الذى نشأ عن الأبنية التقليدية، وعن سقوط النماذج المستوردة من الغرب.

ونخلص من ذلك أيضاً إلى أننا فى مواجهة إشكالية ناشئة من المقارنة بين ثقافتين أو حضارتين نابعة من تعارض مفاهيم كل منهما. وهكذا نحن ملزمون بتحليل الأصولية على أنها مرادفة للأصالة، والراديكالية، وتحريك الرمز الدينى لإثبات الذات.

وثمة مفهومان للأصولية : المفهوم الأول كامن فى الفكر الإسلامى ويفضى إلى إثبات هوية الفرد والمجتمع فى الأمة الإسلامية. والمفهوم الثانى غريب عن الفكر الإسلامى، إذ قد استورده بعض المفكرين المسلمين المحدثين من الغرب بهدف إعمال مناهجه فى العالم الاسلامى.

والأصولية، فى ضوء هذا المفهوم الثانى، تعنى الارهاب والتعصب اللذين يفضيان بالضرورة إلى رفض الحياة الحديثة والمعاصرة، ومن ثم إلى تأسيس جيتو. ولهذا يقترح أصحاب هذا المفهوم أن تكون العلمانية هى البديل. وقد أصبحت العلمانية، بالفعل، تياراً منذ عشرات السنين وبالأخص فى بلدان الغرب. ونحن فى هذا البحث نكشف عن خصائص هذه التجربة التى حدثت بعد الثورة الجزائرية. هذا مع ملاحظة أن هذه التجربة ذاتها قد خاضتها الحكومة التونسية بتأثير من سياسة بورقيبه، وقد أفضت إلى هز البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الثقافية المتجذرة فى التراث

الاسلامى. ويصف المفكر الاسلامى محمد أركون إصلاحات بورقيبه على النحو التالى :

"إن القيادات الوطنية التى تعلمت فى المدارس والجماعات الفرنسية (بورقيبه وزملاؤه ومهدى بن بركه) كشفت عن فشل الاستعمار وذلك بنشر الأفكار الليبرالية فى سياق عصر التنوير فى القرن الثامن عشر وليس فى سياق الاسلام التقليدى. وهذا هو تفسير الاصلاحات الجسورة التى أجراها بورقيبه إثر الاستقلال (تعدد الزوجات، الطلاق، قانون الأحوال الشخصية).

وهكذا تحققت العلمانية ذات السمة الغربية : فصل الدين عن الدولة فى المجتمع الاسلامى كخطوة أولى نحو التخلص من أسس الاسلام. والعلمانية، فى رأى أركون، هى الوسيلة العظمى أمام المجتمع الاسلامى لتحقيق التقدم والحداثة. ومن هذه الزاوية فإن العلمانية تستعين بالليبرالية فى مجالات الاقتصاد والتعليم والأخلاق.

وكان رد الفعل عنيفاً ضد هذه العلمانية من قبل الفئات الاجتماعية الاسلامية باعتبار أنها تمثل ايديولوجيا غربية وخطرة ومعادية وممتزجة بمفاهيم الإلحاد والمادية. وقد أفضت هذه الاستجابة العنيفة إلى رفض الإلحاد الذى تتبناه العلمانية. وهذا يفشر لنا أسباب بزوغ الأصولية الجديدة كوسيلة لعلاج مرض العصر، وهو الإلحاد، وتثبيت الجماهير المسلمة. وقد استند الأصوليون الجدد إلى المبادىء التالية :

١- رفض النظرية الإلحادية العلمانية التى تتخذ من العلم غطاء لها.

٢- الايمان بالله الواحد (التوحيد) ومن شأنه أن يفضى إلى الحرية الفردية والاجتماعية لأن هذا الايمان ينطوى على استسلام كامل لله، أى رفض العبودية للإنسان المتألـه سواء كان استعمارياً أو حاكماً سلطوياً.

٣- اثبات أن الاسلام هو دين العلم والحضارة، يتحكم فى الوسائل الحديثة ليدفع المسلمين إلى أعلى درجات التقدم.

٤- من اللازم تأسيس العلم على أعمدة الايمان، ومن ثم فإن العلم بالمفهوم الاسلامى ليس إلا فيضاً من الايمان.

إن مفهوم الأصولية، فى الفكر الاسلامى، تلخيص لخطاب يربط بين مفهومين هما : التاريخ والزمان. ويكشف لنا تحليل الخطاب الاسلامى المعاصر عن تشابه بين الأصولية بالمعنى الكلاسيكى، أى تنقية المجتمع العربى الاسلامى مما لا يتفق والقرآن الكريم والأحاديث النبوية وبين الأصولية الجديدة التى تتشد تطبيق الشريعة فى جميع المجالات الانسانية بهدف الاتساق مع النظام الإلهى.

ومعرفة تاريخ الأصولية تستلزم التنويه بالمواجهات العديدة بين السلفيين الأصوليين من جهة والعقلانيين المتأثرين بالفكر اليونانى فى تنظيم العلاقة بين العلوم الدينية والعلوم العقلية من جهة أخرى. وهنا ينبغى أن نذكر الصراع الفلسفى بين الغزالى وابن رشد.

ولم تتوقف هذه المواجهات على مر العصور، ولكنها تتباين فى مسارها. ففى عصرنا الراهن ينقسم المفكرون المسلمون إلى فئتين:

الأصوليون الذين يفسرون التغير بمنهج واحد هو المنهج الاسلامى والعقلانيون المتمثلون للعلمانية فيضحون بالدين فى مقابل التقدم العلمى والتكنولوجى. والصراع المرير الدائر بينهما يكشف عن تمتع كل فئة بغالبية ملحوظة. ونكتفى هنا بذكر محمد أركون باعتبار أن منهجه أبعد ما يكون عن الأصوليين، وأنه يوجه نقداً مريراً إلى التقويين الجدد والتقويين التقليديين، ويقارن هؤلاء جميعهم بالمدافعين عن الليبرالية المرادفة للإلحاد النابع من العلمانية.

ويرى أركون أن المدرسة الأصولية تواجه صعوبة وهى أن خطابها الدينى مرفوض لأن مضمونه ليس سوى قيم طقسية وتشريعية وأخلاقية ولاهوتية. ومن ثم ينتهى أركون إلى نتيجة مفادها أن العقل الدينى، فى الاسلام، يخنق البحث العلمى. فما الرأى فى هذه النتيجة؟

إن وضع السؤال على هذا النحو يشوه الحقائق ويدل على عدم فهم، سواء بوعى أو بغير وعى، للخطاب الدينى فى الاسلام. وإذا كان ذلك كذلك فكيف نفسر الحقبة العلمية التى هى علامة تطور البحث العلمى فى تاريخ الفكر الاسلامى؟

وأيا كان الأمر فإن الأصولية، فى ضوء التحليل الموضوعى، أبعد ما تكون عن معارضة العصر، بل هى على الضد من ذلك، إذ

هى مدرسة خصبة فى المعـايير والقيم. ومن حيث هى كذلك فهى الضامن للدلالة العميقة للتاريخ العربى الاسلامى.

إن العلمانية مفهوم مستورد من الغرب للدلالة على كل ما هو لا دينى. وهى مقدماً، تفصل بين الكنيسة والدولة دون أن تمتد ببصرها إلى الأديان الأخرى والمجتمعات غير الأوربية.

إن بزوغ العلمانية كتيار فى المجتمع العربى الاسلامى مردود إلى هزيمة العرب عسكرياً فى عام ١٩٦٧. فقد ذاع الشعار التالى: "إن علمانية الانسان تحرره من العصابة الدينية".

ومما لاشك فيه أن هذا المفهوم ليس إلا صدى للتيار اللائيكى الذى يميز تطور الفكر الأوربى الغربى. وقد انبهر بعض المثقفين المسلمين بحضارة الغرب فارتأوا فى اسلوبها أفضل وسيلة لمعالجة مشكلات مجتمعنا العربى.

وتستند اللائيكية، فى أساسها، إلى أربعة عناصر رئيسية للحياة الانسانية : الاقتصاد والعدالة والتعليم والسلطة السياسية. ومن أجل الكشف عن البعد الحقيقى لهذه المجالات فإن العلمانية تطالبنا بتحقيق الأهداف التالية :

فصل الدين عن المجتمع بتدعيم من تعليم لائيكى، وتأسيس نظام سياسى لا يتسوحى قوانين الشريعة، واقامة اقتصاد يستند إلى الربح.

حذف قطاع أصيل في الفكر الانساني وهو الروح والوحي والسر الالهي وما يلزم عن ذلك من دين وأخلاق مع استبعاد هذا القطاع برمته من الفكر الانساني.

وهذا هو السبب الذي من أجله تواجه العلمانية مقاومةعنيفة في العالم الاسلامي. وما عليها بعد ذلك سوى أن تغير منهجها أو تتنازل عن جزء من أسلحتها.

إن الإسلام من حيث هو دين التسامح على الأصالة ينحاز إلى التعايش السلمي مع الأديان الأخرى. أما اللائيكية فهي وإن كانت مشروعة بالنسبة إلى بعض الحركات الاسلامية والأصولية إلا أن الأمر ليس كذلك إلا من قبيل احترام مبدأ حرية العقيدة والرأي.

ثمة حركات تعبر عن المبادىء الاسلامية وتعمل في اطار برامج أصلها في الاسلام. ونحن نشاهد اليوم نشاطاً مكثفاً لمؤسسات تمارس نشاطها طبقاً لأسس اسلامية. وقد ناضل صناع هذا البرنامج، أو بالأدق مؤسسو المدرسة الأصولية، من أجل إحداث تغيير حقيقي في "العالم الاسلامي.

وعلى الرغم من تعدد المدارس الأصولية إلا أنها تلتقي في فكرة رئيسية وهي انتزاع السلطة على أساس برنامج اسلامي.

وفي كل بلدة اسلامية ثمة أتباع لمدرسة أصولية تدعو إلى العودة إلى الاسلام في عصوره الأولى. ومن هؤلاء الدعاة ينبغي ذكر جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا ومحمد إقبال وعبدالحميد بن باديس وهم جميعاً ينشدون تحقيق غايتين :

١- اعادة بناء المجتمع الاسلامى الفاضل المحرر من كل أشكال العبودية والجمود بهدف تحقيق وحدة مفقودة.

٢- الافاقة من الهزيمة الايديولوجية، ومواجهة أعداء الاسلام الذين يشنون حملات عدائية ضد الاسلام، عن جهل وتعصب، من أجل تشويه صورة الانسان المسلم وتحقيره. ومن أمثال هؤلاء فولتير ورينان ومالرو.

ويضاف، إلى هؤلاء الدعاة، المصلحون المنظرون لبرامج ثورية تشكل مدرسة ايديولوجية مؤسسة على الأصولية ويطلق عليهم "الأصوليون الجدد". ومن بين الحركات المدعمة لهذه الايديولوجية الاخوان المسلمون فى مصر والجماعة الاسلامية فى الهند والدعوة فى المغرب والوهابية فى المملكة العربية السعودية. ومن بين قيادات هذه الحركات حسن البنا وسيد قطب وابو الأعلى المودودى وعلى شريعاتى ومالك بن نبى وحسن الترابى.

ويمكن معرفة برنامج الخطاب الاسلامى المعاصر من قراءة مؤلفات المنظرين للأصولية الجديدة. بيد أن هذا البرنامج لا يمس الاسلام أو عقيدته، ولكنه يمس المؤسسات المطلوب اصلاحها. ونحن نعرض هنا الخطوط العريضة لايديولوجيا المودودى:

فى الحياة الفردية والعائلية والاجتماعية الجميع متساوون أمام القانون بض النظر عن الجنس أو العرق أو الطبقة. والقانون ينظم مجالات الحياة برمتها. والمودودى يقدم الاسلام على أنه الطريق

الثالث بين الرأسمالية والشيوعية، ويؤسس الاقتصاد الاسلامى على مبادىء ثلاثة :

١- الميراث.

٢- الزكاة.

٣- تحريم الربا.

أما السلطة السياسية وهى الدولة فان المودودى يحدد أسس الدولة الاسلامية ويركز على أساسين:

- الشريعة هى القانون الأعلى المهيمن على جميع المجالات.
- السلطة السياسية فى قبضة الصالحين.
- هذه هى الخطوط العريضة للرؤية الأصولية فى العالم الاسلامى اليوم.

يبقى بعد ذلك عرض مفهوم العلمانية. والعلمانية حركة لها دعامتها ومع ذلك فقد بدأت فى فقدان سرعتها، وفى ترك مكانها فى العالم العربى الاسلامى لصالح الأصوليين الجدد. ومع ذلك فالمعركة بين الأصولية والعلمانية شاقة وحسمها لن يكون فى الغد القريب.

نثنى بعد ذلك ببحث محمد الحق وعنوانه "جذور الأصولية الاسلامية فى مصر". وفى رأيه أن قصة الفكر الاسلامى الحديث فى مصر هى قصة المواجهة بين الاسلام التقليدى والحضارة الغربية فى القرن التاسع عشر والعشرين . وقد أفضت هذه المواجهة إلى تغيرات اجتماعية واقتصادية وثقافية، وهذه التغيرات بدورها أفضت إلى

صراع بين عقول المثقفين. تبنت الانتجلنسيا المسيحية العلمانية مثل شبلى شميل وفرح أنطون وسلامه موسى. وقد ساروا فى طريق دارون. وكان اسماعيل مظهر هو من بين المفكرون المسلمين، أقوى مدافع عن الدارونية الاجتماعية فى مصر. أما القوميون، مثل مصطفى كامل وسَعد زغلول، فقد تأثروا بجمال الدين الأفغانى وناضلوا من أجل الاستقلال الوطنى. وعلى الصعيد الدينى أفضى التأثير الغربى إلى قسمة "العلماء" إلى قسمين: احدهما يحبذ التغيير استجابة للتحدى الغربى والآخر يعادى كل ما هو غربى، وتمثله جامعة الأزهر. ولم يكن هذا الصراع هو الأول من نوعه الذى يعانيه الاسلام. فقد حدث هذا الصراع من قبل فى العصر الوسيط بسبب التأثير الهيلينى وأدى إلى نشأة علم الكلام، وهو علم حاول أن يوفق ما لا يمكن أن يوفق فاستبعده الأصوليون. والصراع الذى يواجهه الاسلام فى هذا العصر قد انتهى إلى بزوغ النزعات القومية والعلمانية والدينية. ويجتزىء محمد الحق النزعة الدينية ويفصلها، ولكن مع ملاحظة أن الصراع القديم كان فلسفياً وأنتج العقلانية. أما الصراع الراهن فهو سياسى وأنتج القومية فى مواجهة الاستعمار. وعاش القوميون مع العلماء التقليديين فى وفاق. أما العصريون فكانوا مدعمين من السلطات الاستعمارية. ولهذا فإن الانتلجنسيا الاسلامية تحيا، فى هذا العصر، فى حالة شيزوفرينيا بسبب محاولة العصريين إدماج الأفكار الليبرالية والعلمانية الغربية فى البناء الفلسفى للاسلام، ومن ثم خلق توليفة جديدة. من بين هؤلاء العصريين حسن العطار